التسبيح

التسبيح بمعنى الذكر:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة:٣٠].

التسبيح بمعنى التنزيه:

قال تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩].

سبحان بمعنى العجب:

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الإسراء:١] (١).

سبح بمعنى الفراغ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل:٧] (٢).

أي تقلبًا في المعاش وتصرفًا فيه.

سبح بمعنى الدوران:

قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] (٣).

السابحات بمعنى سفن الغزاة في البحر:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات:٣] (٤).

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٤).
(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٤٢).
(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢)، وتفسير الرازي (٧/ ٨٧).
(٤) وتفسير الرازي (٨/ ٣١٧).

التسبيح : تنزيه الله تعالى ، وأصله المرُّ السريع في عبادة الله تعالى ، وجعل ذلك في فعل الخير ، كما جعل الإبعاد في الشر فقيل أبعده الله، وجعل التسبيح عامًا في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نيَّةً .

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم:٢٨- ٢٩] ، أي : هلا تعبدونه وتشكرونه وحُمل على ذلك الاستثناء وهو أن يقول إن شاء الله ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾[القلم:١٧-١٨].

وقوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[النحل:٤٩] .

فذلك يقتضي أن يكون تسبيحًا على الحقيقة وسُجودًا له على وجه لا نفقهه بدلالة.

قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤] .

والأشياء كلها تُسبح له وتسجد بعضها بالتسخير، وبعضها بالاختيار ، ولا خلاف أن السموات والأرض والدواب مسبِّحات بالتسخير من حيث إن أحوالها تدل على حكمةِ الله تعالى .

وسبحان الله : صيغة التسبيح أي التنزيه لله ، قال تعالى :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة:٣٢] .

والتسبيح : ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجهًا ، ستة منهم للملائكة، وتسعة لنبينا محمد -ﷺ- وأربعة لغيره من الأنبياء وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة ، وستة لجميع الموجودات .

وسبح يسبح سبحًا : جرى .

قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٣] .

التقوى

التقوى بمعنى التوحيد والشهادة:

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾[الأحزاب:٧٠].

التقوى بمعنى الطاعة والعبادة:

قال تعالى :﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [النحل:٥٢] .

التقوى بمعنى البشرى بالكرامات:

قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[يونس:٦٣-٦٤] .

التقوى بمعنى البشرى بالعون والنصرة:

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[النحل:١٢٨].

التقوى بمعنى البشرى بكفارة الذنوب:

قال تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾[الطلاق:٥] .

التقوى بمعنى البشرى بالمغفرة:

قال تعالى :﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنفال:٦٩].

التقوى بمعنى البشرى باليسر والسهولة في الأمر:

قال تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾[الطلاق:٤] .

التقوى بمعنى البشرى بالخروج من الغمِّ والمحنة:

قال تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾[الطلاق:٢] .

obeikandl.com

التقوى بمعنى البشرى بالرزق الواسع:

قال تعالى :﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣] .

التقوى بمعنى البشرى بالفوز بالمراد:

قال تعالى :﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الزمر:٦١] .

التقوى بمعنى البشرى والشهادة بالصدق:

قال تعالى :﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٧٧].

التقوى بمعنى البشرى بالعلم والحكمة:

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الأنفال:٢٩].

التقوى بمعنى البشرى بنيل الجزاء بالمحنة :

قال تعالى :﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف:٩٠].

التقوى بمعنى البشرى بالأمن من البلية :

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[الحجر:٤] .

اتقوا بمعنى لا تعصوا :

قال تعالى :﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١٨٩] [(١)].

(١) الوجوه والنظائر للحيري ، الورقة الأولى .

اتقوا بمعنى التوحيد والخشية :

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[النساء:١] .

اتقوا بمعنى اعبدوا :

قال تعالى :﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[النحل:٢] [(١)].

اتقوا بمعنى الإخلاص :

قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢] [(٢)].

التقوى بمعنى البشرى بالكرامة والإكرامية :

قال تعالى :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات:١٣]

التقوى بمعنى البشرى بنيل الوصال والقربة :

قال تعالى :﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

[الحج:٣٧] .

التقوى بمعنى البشرى بقبول الصدقة :

قال تعالى :﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة:٢٧]..

التقوى بمعنى البشرى بالأمن من البلية :

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[الدخان:٥١] .

التقوى بمعنى زوال الخوف والحزن من العقوبة:

قال تعالى :﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ

---

(١) تنوير المقباس (١٦٨) .

(٢) الوجوه والنظائر للحيري ، الورقة الأولى .

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأعراف:٣٥] .

التقوى بمعنى البشرى بقرب الحضرة الإلهية والرؤية :

قال تعالى :﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] .

التقوى: جعل الشيء في وقاية مما يخاف منه ، والتقوى في عُرف الشرع: حفظ النفس عما يُؤثم ، وذلك بتجنب المحظور ، ويتم ذلك بترك كثير من المباحات، كما في الحديث عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** "(١).

قال أحد العلماء : منازل التقوى ثلاثة :

١- تقوى عن الشرك .

٢- وتقوى عن المعاصي.

٣- وتقوى عن البدعة .

وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في آية واحد ، قال تعالى :﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[المائدة:٩٣] .

التقوى الأولى : تقوى عن الشرك ، والإيمان ومقابلة التوحيد .

---

(١) صحيح مسلم - كِتَاب الْمُسَاقَاةِ - بَاب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ ، ٢٩٩٦ .

التقوى الثانية : عن البدعة والإيمان المذكور معها إقرار السُّنَّة والجماعة.

والتقوى الثالثة : عن المعاصي الفرعية .

قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾[النساء: ١٣١] .

يفهم أنه لو كانت في ا لعالم خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وأجل في العبودية ، وأعظم في القدر وأولى في الحال وأنجح في المآل من هذه الخصلة ، لكان الله سبحانه أمر بها عباده ، وأوصى خواصه بذلك ، لكمال حكمته ورحمته ، فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة جميع الأولين والآخرين من عباده ، واقتصر عليها ، علمنا أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ، ولا مقتصر دونها، وأنه – عز وجل – قد جمع كل محض نُصح ، ودلالة ، وإرشاد ، وسُنَّة، وتأديب ، وتعليم ، وتهذيب في هذه الوصية الواحدة .

والتقوى الجامعة

اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين ، وهو المعصية والفضول.

واتقاء الله: تجنب عذابه ، وذلك بالعمل بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

[النور:٥٢] .

قال أبو عبد الله التونسي: حقيقة التقوى عبارة عن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات .

قال الغزالي - رحمه الله- :

التقوى تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله ، حتى يُحصل للعبد من قوة العزم على تركه وقايةٌ بينه وبين المعاصي ، وأما تفصيلاً فإنَّ التقوى تُطلق في القرآن على ثلاثة أشياء .

أحدها : بمعنى الخشية والهيبة ، قال تعالى :﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٨١] .

والثاني: بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

قال مجاهد : هو أن يُطاع ولا يُعصى ، وأن يُذكر فلا ينسى ، وأن يُشكر فلا يُكْفر .

الثالث: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، ألا ترى إلى قوله تعالى :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢] .

قال الغزالي - رحمه الله- :

التقوى اجتناب ما تخاف ضررًا في دينك ، وذلك قسمان:

١- محضُ الحرام . ٢- وفضول الحلال .

لأن استعمال فضول الحلال قد يُخرج صاحبه إلى الحرام ومحضِ العصيان .

واعلم أن التقوى كنزٌ عزيزٌ، إن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهرٍ شريف، وخير كثير ، ورزق كريم ، وغُنمٍ جسيم ، ومُلك عظيم ، فهي الخَصلة التي تجمع خير الدنيا والآخرة .

قال بعض المريدين لشيخه : أوصني ، قال: أوصيك بما أوصى الله تعالى الأولين والآخرين وهو قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[النساء: ١٣١] .

ولقد أحسن القائل :

من عرف الله فلم تغنه ∴ معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بعز الغني ∴ والعز كل العز للمتقي

التوبة

التوبة بمعنى الندم:

قال تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:٥٤] (١) .

التوبة بمعنى الرجوع:

قال تعالى :﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] (٢) .

التوبة بمعنى التجاوز:

قال تعالى :﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾

[الأحزاب:٧٣] (٣) .

التوبة من أفضل مقامات السالكين ؛ لأنها أول المنازل، وأوسطها ، وأخرها، فلا يفارقها العبد أبدًا ، ولا يزال فيها إلى الممات ، وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به ، ونزل به ، فهي بداية العبد ونهايته .

قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

[النور:٣١] .

وهذه الآية في سورة مدنية ، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان ، وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعلق المسبب بسببه ، وأتى بأداة " لعل" المشعر بالترجي إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون .

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧٢) .
(٢) قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية ، مادة : ت – و – ب .
(٣) اللسان لابن منظور : مادة : ت – و – ب .

فيكون المقصود من التوبة تقوى الله وخوفه وخشيته ، والقيام بأمره ، واجتناب نهيه ، فيعمل بطاعته على نور من الله ، يرجو ثواب الله ، ويترك معصية الله على نور من الله ، يخاف عقاب الله ، لا يريد بذلك عِزَّ الطاعة ، فإنَّ للطاعة والتوبة عزًّا ظاهرًا وباطنًا ، فلا يكون مقصوده العزَّة ، وإن علم أنها تحصل له بالطاعة ، والتوبة ، فمن تاب لأجل أمر فتوبته مدخولة .

درجات اللطف :

فالأولى : أن الله أمر الخلق بالتوبة وأشار إليها بأيُّها التي تليق بحال المؤمن .

قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١] .

الثانية : لا تكون التوبة مثمرة حتى يتم أمرها .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم:٨].

الثالثة : لا تنظر أنك فريد في طريق التوبة ، فإنَّ أباك آدم كان أول التائبين.

قال تعالى :﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:٣٧].

والتوب ترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإنَّ الاعتذار على ثلاثة أوجه :

١- إما أن يقول المعتذر لم أفعل .

٢- أو يقول فعلت لأجل كذا.

٣- أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة.

والتوبة في الشرع : ترك الذنب لقُبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المُعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، فمتى اجتمعت

هذه الأربع فقد كمُل شرائط التوبة .

وتاب إلى الله : تذكر ما يقتض الإنابة .

قال تعالى :﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[التوبة:١١٨] .

والتائب: يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة فالعبد تائب إلى الله ، والله تائب على عبده ، والتوابُ : العبد الكثير التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركًا لجميعهِ ، وقد يُقال: للهِ ذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال .

قال تعالى :﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾[الفرقان:٧١] .

أي التوبة التامة وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل.

قال تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾[الرعد:٣٠].

ومتاب: أي وإليه توبتي ورجوعي عن المعاصي .

ومتابًا: أي يرجع إليه رجوعًا عن ذنوبه .

التوابين: أي الكثيري الرجوع إلى الله تعالى .

قال تعالى :﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

تاب إلى الله توبًا وتوبة ومتابًا : رجع عن المعصية، وهو تائب وتواب، وتاب الله عليه ، وفَّقهُ للتوبة ، والله توَّاب على عباده ، واستتابه : سأله أن يتوب .

التوكّل

التوكل بمعنى إن طلبتم النصر والفرج فتوكلوا على الله:

قال تعالى :﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[آل عمران:١٦٠] .

التوكل بمعنى إذا أعرضت عن أعدائي فليكن رفيقك التوكل:

قال تعالى :﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[النساء:٨١] .

التوكل بمعنى إذا تلى القرآن أو تلوته فاستند على التوكل :

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال:٢] .

التوكل بمعنى إذا أردت الصلح والإصلاح بين قوم فعليكم بالتوكل:

قال تعالى :﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنفال:٦١] .

التوكل بمعنى إذا وصلت قوافل القضاء استقبلها بالتوكل:

قال تعالى :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[التوبة:٥١] .

التوكل بمعنى إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التوكل:

قال تعالى :﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[التوبة:١٢٩] .

التوكل بمعنى إذا نصب الأعداء مصيدة المكر ادخل أنت في أرض التوكل:

قال تعالى :﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي

وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ [يونس:٧١] .

التوكل بمعنى إذا عرفت أن مرجع الكل إلينا وطن نفسك على فرش التوكل:

قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣] .

التوكل بمعنى إذا علمت أن الله الواحد على الحقيقة فلا يكن اتكالك إلا عليه:

قال تعالى :﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾[الرعد:٣٠].

التوكل: نصف الإيمان ، والنصف الثاني الإنابة ، فالتوكل الاستعانة، والإنابة العبادة .

قال الإمام أحمد -رحمه الله- : التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس للجوارح فيه مدخل، وهو من باب الإدراكات والعلوم .

ومنهم من يفسّره بسُكون حركة القلب ، فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الله كانطراح الميت بين يدي المُغسل يقلبه كيف يشاء .

قال سهل: التوكل: الاسترسال مع الله على ما يريد .

سُئل يحيى بن معاذ : متى كان الرجل متوكلاً؟، قال: إذا رضا بالله وكيلاً .

وقال ذو النون: هو ترك تدبير النفس والانخلاع عن الحول والقوة .

وقيل: التوكل : التعلق بالله في كل حال .

وقال أبو تراب النخشبي : هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر، فجعله مُركبًا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب، وسكون إلى قضائه وقدره، وطمأنينة بكفايته ، وشكرٌ إذا أُعطى ، وصبرٌ إذا مُنع، وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب ، بل لا يصح التوكل إلا مع القيام بها .

قال أبو علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات : التوكل ، ثم التسليم، ثم التفويض ، فالمتوكل يسكن إلى وعده ، وصاحب التسليم يكتفي بعمله، وصاحب التفويض يرضي بحكمه ، فالتوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة المؤمنين .

التوكل: صفة الأنبياء .

والتسليم: صفة إبراهيم الخليل - عليه السلام - .

والتفويض : صفة نبينا - ﷺ - .

obeikandl.com

التلاوة

يتلو بمعنى يكتب:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

التلاوة بمعنى الاتباع:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة:١٢١] (١).

التلاوة بمعنى الانزال:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾[البقرة:٢٥٢].

التأويل بمعنى ملك محمد - ﷺ -.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:٧] (٢).

التأويل بمعنى العاقبة:

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ ﴾[الأعراف:٥٣] (٣).

التأويل بمعنى أنواع الأطعمة وألوانها:

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ﴾ [يوسف:٣٧] (٤).

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٣)، والطبري (٣٠/ ٢٠٨).
(٢) تنوير المقباس (٣٤).
(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٤٩٧).
(٤) تنوير المقباس (١٤٩).

تأويل بمعنى التحقيق والتفسير:

قال تعالى :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾[يوسف:١٠٠] (١).

التأويل بمعنى الرؤيا:

قال تعالى :﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ [يوسف:١٠١] (٢).

التلاوة بمعنى القراءة:

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[فاطر:٢٩].

تلى: تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها ، وذلك يكون تارةً بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم ، وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ، ومصدرهُ : تلاوة .

قال تعالى :﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾[الشمس:٢] .

أراد به ها هُنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك أنه يُقال: إن القمر هو يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة ، وعلى هذا نبه بقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴾[يونس:٥] ، والضياء أعلى مرتبة من النور، إذ كُل ضياءٍ نورًا وليس كل نور ضياءً .

قال تعالى :﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ ﴾[هود:١٧] ، أي يقتدي به ويعمل بموجبه .

قال تعالى :﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[آل عمران:١١٣] .

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٦٤) ، وغريب القرآن للنيسابوري (١٣/ ٤٨) .
(٢) توجيد القرآن ، للمقري (٢٥٥) .

والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي ، وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك ، وهو أخص من القراءة ، فكل تلاوة قراءة ، وليس كل قراءة تلاوةً .

لا يُقال: تلوت رقعتك ، وإنما يُقال: في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعُه .

قال تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت:٥١] ، فهذا بالقراءة وكذلك قوله تعالى :﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[الكهف:٢٧].

وأما قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة:١٢١] ، فاتباع له بالعلم والعمل.